ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره ، والله أعلم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا شبابة عن شعبة ، عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن ، فإذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال : سبحانك اللهم فبلى ، فسئل عن ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال : كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال سبحانك فبلى ، فسألوه عن ذلك فقال : سمعته من رسول الله ﷺ ، تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولايضر ذلك .

وقال أبو داود أيضاً : حدثنا عبد الله بن محمد الزهري ، حدثنا سفيان ، حدثني إسماعيل بن أمية ، سمعت أعرابياً يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى قوله ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ فليقل بلى ، ومن قرأ ﴿والمرسلات﴾ فبلغ ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل آمنا بالله» ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر ، عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال : قلت له من حدثك ؟ قال : رجل صدق عن أبي هريرة . وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى : ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال «سبحانك وبلى» ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، أنه مر بهذه الآية ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟﴾ قال : سبحانك فبلى . آخر تفسير سورة القيامة ، ولله الحمد والمنة .

سورة الإنسان

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة ﴿هل أتى على الإنسان ؟﴾ وقال عبد الله بن وهب : أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر ؟﴾ وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله ﷺ «أخرج نفس صاحبكم ـ أو قال أخيكم ـ الشوق إلى الجنة» مرسل غريب .

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟﴾ ثم بين ذلك فقال جل جلاله ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ أي أخلاط ، والمشج والمشيج : الشيء المختلط بعضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿من نطفة أمشاج﴾ يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون ، وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس : الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى : ﴿نبتليه﴾ أي نختبره كقوله جل جلاله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ أي جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله جل وعلا ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا : ﴿وأما ثمود فهديناهم

فاستحبوا العمى على الهدى وكقوله جل وعلا : ﴿**وهديناه النجدين**﴾ أي بينا له طريق الخير وطريق الشر ، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور . وروي عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾ يعني خروجه من الرحم ، وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول . وقوله تعالى : ﴿**إما شاكراً وإما كفوراً**﴾ منصوب على الحال في الهاء في قوله ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾ تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد ، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن ابن خيثم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة : «أعاذك الله من إمارة السفهاء» قال : وماإمارة السفهاء ؟ قال : «أمراء يكونون من بعدي لايهتدون بهداي ، ولايستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولايردون على حوضي ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي . ياكعب بن عجرة ، الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة ، والصلاة قربات ـ أو قال برهان ـ ياكعب بن عجرة إنه لايدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، ياكعب ، الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها» ورواه عن عفان بن وهيب عن عبدالله بن عثمان بن خيثم به . وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «مامن خارج يخرج إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ؛ وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته» .

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير ، وهو اللهيب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى : ﴿**إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون**﴾ ولما ذكر ماأعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : ﴿**إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً**﴾ وقد علم مافي الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع مايضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة . قال الحسن : برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال : ﴿**عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً**﴾ أي هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ، ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عيناً على التمييز ، قال بعضهم : هذا الشراب في طيبه كالكافور ، وقال بعضهم : هو من عين كافور ، وقال بعضهم : يجوز أن يكون منصوباً بيشرب حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقوله تعالى : ﴿**يفجرونها تفجيراً**﴾ أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، والتفجير هو الإنباع كما قال تعالى : ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً**﴾ وقال ﴿**وفجرنا خلالها نهراً**﴾ .

وقال مجاهد : ﴿**يفجرونها تفجيرا**﴾ يقودونها حيث شاءوا وكذا قال عكرمة وقتادة ، وقال الثوري يصرفونها حيث

شاءوا ، وقوله تعالى : ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر . قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» رواه البخاري من حديث مالك . ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس : فاشياً ، وقال قتادة : استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، وقال ابن جرير : ومنه قولهم : استطار الصدع في الزجاجة واستطال ، ومنه قول الأعشى :

فبانت وقد أسأت في الفؤا د صدعاً على نأيها مستطيرا

يعني ممتدا فاشياً . وقوله تعالى : ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائداً إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له ، قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى : ﴿وآتى المال على حبه﴾ وكقوله تعالى : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وروى البيهقي من طريق الأعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنباً أول ماجاء العنب فأرسلت صفية ، يعني امرأته ، فاشترت عنقوداً بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : اعطوه إياه فأعطوه إياه ، فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقوداً فاتبع الرسول السائل ، فلما دخل قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه فأعطوه إياه ، فأرسلت صفية إلى السائل فقالت والله إن عدت لاتصيب منه خيراً أبداً ، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به .

وفي الصحيح «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر» أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس : كان أسراؤهم يومئذ مشركين ، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء ، وقال عكرمة : هم العبيد ، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك ، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة ، وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ماحديث ، حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول «الصلاة وما ملكت أيمانكم» قال مجاهد : هو المحبوس أي يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه ﴿لانريد منكم جزاء ولاشكوراً﴾ أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس .

قال مجاهد وسعيد بن جبير : أما والله ماقالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : عبوساً ضيقاً ، قمطريرا طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه في قوله ﴿يوماً عبوساً قمطريرا﴾ قال : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران . وقال مجاهد ﴿عبوساً﴾ العابس الشفتين ﴿قمطريراً﴾ قال : يقبض الوجه بالبسور . وقال سعيد بن جبير وقتادة : تعبس فيه الوجوه من الهول ، قمطريراً تقليص الجبين ومابين العينين من الهول . وقال ابن زيد ، العبوس الشر ، والقمطرير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضي الله عنه ، قال ابن جرير : والقمطرير هو الشديد يقال : هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصيصب ، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراراً ، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم :

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ؟ عليكم إذا ماكان يوم قماطر

قال الله تعالى : ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾ وهذا من باب التجانس البليغ ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ أي آمنهم مما خافوا منه ﴿ولقاهم نضرة﴾ أي في وجوههم ﴿وسرورا﴾ أي في قلوبهم ، قاله الحسن البصري وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس ، وهذه كقوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل . وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر ، وقالت عائشة رضي الله عنها : دخل علي رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه الحديث . وقوله تعالى : ﴿وجزاهم بما

صبروا﴾ أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريراً أي منزلا رحباً وعيشاً ولباساً حسناً . وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال : قرىء على أبي سليمان الداراني سورة ﴿هل أتى على الإنسان ؟﴾ فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى : ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾ قال : بماصبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول :

كم قتيل لشهوة وأسير ... أف من مشتهى خلاف الجميل
شهوات الإنسان تورثه الذل ... وتلقيه في البلاء الطويل

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنه وماهم فيه من النعيم المقيم وماأسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى : ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات ، وذكر الخلاف في الاتكاء هل هو الاضجاع أو التمرفق أو التربع أو التمكن في الجلوس ، وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال . وقوله تعالى : ﴿لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ أي ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدي لايبغون عنها حولا ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ أي قريبة إليهم أغصانها ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ أي متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿وجنى الجنتين دان﴾ وقال جل وعلا ﴿قطوفها دانية﴾ قال مجاهد : ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن قعد تذللت له حتى يناالها ، وإن اضطجع تذللت له حتى يناالها فذلك قوله تعالى : ﴿تذليلا﴾ وقال قتادة : لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد : أرض الجنة من ورق وترابها من المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والثمر بين ذلك ، فمن أكل منها قائماً لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعاً لم تؤذه .

وقوله جلت عظمته ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لاعرى لها ولاخراطيم ،وقوله ﴿قواريرا قواريرمن فضة﴾ فالأول منصوب بخبر كان أي كانت قواريرا، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بينه بقوله جل وعلا ﴿قواريرمن فضة﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد : بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لاتكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى مافي باطنها من ظاهرها ، وهذا مما لانظير له في الدنيا . قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس : ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبي حاتم : وقوله تعالى : ﴿قدروها تقديراً﴾ أي على قدر ريهم لا تزيد عنه ولاتنقص بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ري صاحبها ، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقتادة وابن أبزى ، وعبدالله عبيد الله بن عمير وقتادة والشعبي وابن زيد ، وقاله ابن جرير وغير واحد ، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة ، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿قدروها تقديراً﴾ قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس ، وقال الضحاك ، على قدر كف الخادم ، وهذا لا ينافي القول الأول فإنها مقدرة في القدر والري .

وقوله تعالى : ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا﴾ أي ويسقون يعني الأبرار أيضاً في هذه الأكواب ﴿كأساً﴾ أي خمرا ﴿كان مزاجها زنجبيلا﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد . وقد

تقدم قوله جل وعلا ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾ وقال ههنا ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ أي الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا ، وقال عكرمة : اسم عين في الجنة ، وقال مجاهد : سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها ، وقال قتادة ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ عين سلسة مستقيد ماؤها ، وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق واختار هو أنها تعم ذلك كله وهو كما قال .

وقوله تعالى : ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون * إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ أي يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مخلدون﴾ أي على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ، ومن فسرهم بأنهم مخرصون في آذانهم الأقرطة فإنما عبر عن المعنى بذلك ، لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير . وقوله تعالى : ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة في التشبيه أحسن من هذا ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن . قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو . مامن أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه .

وقوله جل وعلا ﴿وإذا رأيت﴾ أي وإذا رأيت يامحمد ﴿ثم﴾ أي هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها ومافيها من الحبرة والسرور ﴿رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً . وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إليها : إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . وقد قدمنا في الحديث المروي من طريق ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه» فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى ؟ وقد روى الطبراني ههنا حديثاً غريباً جداً فقال : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن عمار الموصلي ، حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «سل واستفهم» فقال : يارسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة ، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إني لكائن معك في الجنة ؟ قال «نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام» ثم قال رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة» فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته» ونزلت هذه السورة ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر - إلى قوله - ملكاً كبيرا﴾ فقال الحبشي : وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة قال «نعم» فاستبكى حتى فاضت نفسه . قال ابن عمر : ولقد رأيت رسول الله يدليه في حفرته بيده .

وقوله جل جلاله ﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ أي لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق منه مافيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى : ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾ ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده : ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة ، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين ، فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداها فأذهب الله مافي بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم ، فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن . وقوله تعالى : ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾ أي يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى : ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ وكقوله تعالى : ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ وقوله تعالى : ﴿وكان سعيكم مشكورا﴾ أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ

خَلْقَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلاً : ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ أي كما أكرمك بما أنزل عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره ﴿ولاتطع منهم آثما أو كفوراً﴾ أي لاتطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ماأنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإن الله يعصمك من الناس ، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾ أي أول النهار وآخره ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾ كقوله تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وكقوله تعالى : ﴿ياأيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً﴾ ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ يعني يوم القيامة ثم قال تعالى : ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : يعني خلقهم ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً ، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة . وقال ابن زيد وابن جرير ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى : ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً﴾ وكقوله تعالى : ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿إن هذه تذكرة﴾ يعني هذه السورة تذكرة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي طريقاً ومسلكاً أي من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى : ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر﴾ الآية ، ثم قال تعالى : ﴿وماتشاءون إلا أن يشاء الله﴾ أي لايقدر أحد أن يهدي نفسه ولايدخل في الإيمان ولايجر لنفسه نفعاً ﴿إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ أي عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى . وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، ولهذا قال تعالى : ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ ثم قال : ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً﴾ أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . آخر تفسير سورة الإنسان ، ولله الحمد والمنة .

سورة المرسلات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

قال البخاري : ثنا أحمد ، ثنا عمر بن حفص بن غياث ، ثنا الأعمش ، حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية ، فقال النبي ﷺ : «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ : «وقيت شركم كما وقيتم شرها» وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الأعمش ، وقال الإمام أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً ، وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ ﴿والمرسلات عرفاً﴾ فقالت : يابني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ماسمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب . أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك به .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا